من جديد حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا

هيئة تحرير الجريدة الصينية جين مين جهباو

دار القلم

نسخها للأنترنيت الصوت الشيوعي

https://sites.google.com/site/communistvoice

communistvoice@yahoo.com

في نيسان سنة ١٩٥٦ بحثنا التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا ، وذلك بالنظر الى قضية ستالين ، ومنذ ذاك الحين طرأت احداث اخرى في الحركة الشيوعية الاممية واسترعت من جانب شعبنا انتباها كبيرا . وبعد ان نشرت صحفنا خطاب الرفيق تيتو ، المؤرخ في ١١ تشرين الثاني ، وتعليقات الاحزاب الشيوعية في مختلف البلدان على هذا الخطاب اخذ يدور في بال كثيرين من الناس عدد من الاسئلة ينبغي الاجابة عنها . وسنعالج بنوع خاص في هذا المقال المسألة التالية : اولا : كيف ينظر الى الطريق الاساسية للثورة والبناء في الاتحاد السوفياتي ، ثانيا : كيف ينبغي ان ينظر الى مزايا ستالين واخطائه ، ثالثا : مكافحة نزعة الجمود العقائدي(١) والنزعة التعديلية(٢) رابعا : التضامن الاممي بين بروليتاريا جميع البلدان .

يجب علينا ، في مواجهة المسائل الدولية الحاضرة ، ان نستند قبل كل شيء الى الامر الاساسي التالي : وجود التناقض بين الكتلة الاستعمارية العدوانية وبين قوى شعوب العالم كله . والشعب الصيني ، الذي مر بمحن قاسية من جراء عدوان الاستعمار ، لن ينسى ابدا ان هذا الاستعمار لا يفتأ يعمل دوما ضد تحرر شعوب البلدان جميعها ، ضد استقلال جميع الامم المغلوبة على امرها ، والحركة الشيوعية التي تعبر بدأب وامانة عن مصالح الشعوب ، هي اخطر ما يخشاه الاستعمار . فمنذ قيام الاتحاد السوفياتي ؛ اول دولة اشتراكية في العالم والاستعمار يبذل كل ما بوسعه كي يلحق الاذى بالاتحاد السوفياتي وبعد قيام عدة دول اشتراكية ، بات التناقض بين معسكر الاستعمار ومعسكر الاشتراكية ، وكذلك النشاط الهدام المكشوف من جانب المعسكر الاستعماري ضد المعسكر الاشتراكي ، اشد الظاهرات وضوحا في السياسة العالمية . فالولايات المتحدة الامريكية ، زعيمة المعسكر الاستعماري ، هي التي تتدخل اشد التدخل اذى وغطرسة في الشؤون الداخلية للبلدان الاشتراكية . وهي منذ سنوات عديدة تحول بين بلادنا وبين تحرير تايوان التي هي ارضنا ، وتنادي جهارا بالنشاط الهدام في بلدان اوروبا الشرقية جاعلة من ذلك نهجا سياسيا لحكومتها .

احداث المجر

ان نشاط الاستعمار خلال الاحداث التي عرفتها المجر في تشرين الاول ١٩٥٦ كان اخطر هجوم شنه الاستعمار على المعسكر الاشتراكي بعد الحرب العدوانية في كوريا . ولقد جاء في قرار الدورة الشاملة التي عقدتها اللجنة المركزية المؤقتة للحزب العمالي الاشتراكي المجري ان احداث المجر متأتية عن اسباب داخلية وخارجية ، وكل تفسير لها وحيد الجانب انما يكون خاطئا ، وان الاستعمار العالمي هو الذي لعب الدور ((الدور

الاساسي الحاسم)) في هذه الاحداث . وبعد ان فشلت المكائد الرامية الى اعادة حكم الثورة المعاكسة في المجر عاد الاستعماريون ، وفي رأسهم الولايات المتحدة، ففرضوا على منظمة الامم المتحدة قرارات موجهة ضد الاتحاد السوفياتي وتشكل تدخلا في شؤون المجر الداخلية ، وشنوا على الشيوعية ، في الوقت ذاته ، حملة صاخبة في العالم الغربي كله . وبالرغم من ان الاستعماريين الامريكيين ، يغتنمون فرصة انهزام بريطانيا وفرنسا في الحرب العدوانية على مصر ، فيسعون بجميع الوسائل الى الاستيلاء على المواقع الانكليزية والفرنسية في الشرق الاوسط وفي افريقيا الشمالية ، فانهم يؤكدون في الوقت ذاته انهم سيبذلون كل شيء لازالة ((سوء التفاهم)) القائم بينهم من جهة وبين انكلترا وفرنسا من جهة ثانية . انهم سيبحثون عن ((تفاهم أوثق واقرب)) بغية اعادة تأليف جبهة مشتركة من أجل مكافحة الشيوعية ، مكافحة شعوب آسيا وافريقيا ، مكافحة الشعوب المحبة للسلام في العالم قاطبة . وهم يرون ان على البلدان الاستعمارية ان تتحد كي تكافح الشيوعية ، والشعوب ، والسلام ، وهذا هو المعنى الاساسي لـ ((فلسفة الحياة والعمل)) ؛ التي ينبغي العمل بها في هذه الفترة العصيبة من التاريخ العالمي)) ، هذه الفلسفة التي صاغها دالز في دورة مجلس حلف الاطلسي الشمالي . وقد استرسل دالز حتى ذهب الى القول : ((ان البنيان الشيوعي السوفياتي هو الآن في طور انحطاط (؟) وسلطة القادة تنهار (؟) ... وامام هذا الوضع يتوجب على البلدان الحرة ان تستمر في ضغطها المعنوي الذي يسهم في تقويض النظام الشيوعي السوفياتي – الصيني ، وان تحافظ ايضا على قدرتها العسكرية وعلى روحها التقريرية)) . ودعا دالز بلدان حلف الاطلسي الشمالي الى ((القضاء على الاستبداد السوفياتي الشديد ؟ القائم على المفاهيم ذات الصبغة العسكرية ؟ والالحادية)) . ثم قال : ((والآن يبدو ان تبدل طابع العالم الشيوعي امسى في نطاق الامكان)) !

التنازع العنيد بيننا وبين الاعداء
التنازع الطبقي على الصعيد العالمي

لقد كنا نعتبر دائما ان العدو خير معلم لنا ، وها هو دالز يلقي علينا درسا جديدا . فليفتر علينا الف مرة ، وليصب لعناته علينا عشرة الاف مرة ، فليس هذا مدهشا ولا جديدا . الا انه على صعيد ((الفلسفة)) يطلب من العالم الاستعماري ان يضع التناقضات بينه وبين الشيوعية فوق سائر التناقضات حتى يكون كل شيء موجها الى ((تبدل طابع العالم الشيوعي)) ، مبذولا في سبيل ((تقويض)) و ((هدم)) النظام الاشتراكي الذي يقوده الاتحاد السوفياتي . وان هذا العمل ، وان يكن بالنسبة اليهم عملا لا ريب في عدم جدواه ، فهو بالنسبة الينا درس مفيد . اننا قد دعونا على الدوام وسنظل ندعو الى التعايش السلمي بين البلدان الاشتراكية والرأسمالية ، الى التسابق السلمي بينها ولكن الاستعماريين ما يزالون يريدون القضاء علينا . ولذلك ينبغي لنا ان لا ننسى ابدا ان التنازع العنيد بيننا وبين الاعداء انما هو التنازع الطبقي على الصعيد العالمي .

اننا نرى فئتين من التناقضات تتعارضان من حيث طابع كل منهما : فهناك ، اولا ، التناقضات بيننا وبين اعدائنا (بين المعسكر الاستعماري والمعسكر الاشتراكي ، بين الاستعماريين من جهة وجميع شعوب العالم والامم المغلوبة على امرها من جهة ثانية بين البرجوازية والبروليتاريا في البلدان الاستعمارية ، الخ) وهذه التناقضات هي التناقضات هي التناقضات الجوهرية ، وهي تقوم على تصادم مصالح الطبقات المتعادية. وهناك ، ثانيا ، التناقضات الجوهرية ، وهي تقوم على تصادم مصالح الطبقات المتعادية. وهناك ، ثالثا ، التناقضات في داخل الشعب (بين طائفة من الشعب واخرى ، بين فريق من الرفاق وآخر في الحزب الشيوعي ، بين الحكومة والشعب ، في البلدان الاشتراكية ، بين البلدان الاشتراكية ، بين الاحزاب الشيوعية الخ) . وهذه التناقضات ، على العموم ، ليست تناقضات جوهرية فهي لا تقوم بسبب النزاع الجذري بين مصالح

الطبقات بل انها تناقضات بين الآراء الصحيحة والآراء الخاطئة او انها تنشأ عن تناقضات بين المصالح او التي تتسم بطابع جزئي . فينبغي ايجاد الحل لهذه التناقضات عن طريق اخضاعها بالدرجة الاولى للمصالح المشتركة المرتبطة بالنضال ضد العدو . والتناقضات التي تقوم في داخل الشعب يمكن ويجب ان تحل على اساس الطموح الى الانسجام ، بواسطة الانتقاد او النضال ، وينبغي ان يؤدي هذا الحل الى انسجام جديد في اوضاع جديدة . اجل ان الحياة العملية معقدة . ان الطبقات التي تتعارض مصالحها الجوهرية قد تتحد في بعض الاحيان في مقاومة العدو الرئيسي المشترك ، وكذلك التناقضات المحدودة في داخل الشعب قد تتحول تدريجيا في بعض الاحوال الى تناقضات اساسية وذلك من جراء انتقال احد الطرفين المتعارضين في مثل هذا التناقض انتقالا تدريجيا الى جانب العدو . وفي آخر الامر تغيير نوعية هذه الفئة من التناقضات تغيرا تاما فلا تعود تناقضات في داخل الشعب بل تصبح تناقضات بيننا وبين الاعداء . لقد حصلت هذه الظاهرات في تاريخ الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي الصيني . وبالاختصار ، اذا تمسكنا بمواقع الشعب لا غير فاننا لن نقول ابدا بوحدة الذات بين التناقضات التي تقوم في داخل الشعب وتلك التي تقوم بيننا وبين اعدائنا، ولن نخلط بين هذه التناقضات ، ولن نضع ، بلا ريب ، التناقضات التي تقوم داخل الشعب فوق تلك التي تقوم بيننا وبين اعدائنا . ان من ينكر تنازع الطبقات ولا يميز بين اصدقائه وبين اعدائه ليس بالشيوعي بتاتا ولا بالماركسي اللينيني بتاتا .

قبل ان نباشر بحث المسائل التي نواجهها ، نرى من اللازم قبل كل شيء ان نحل المسألة الاساسية، مسألة الموقف المبدئي . فاننا بدون ذلك نفقد الطريق السوي لا محالة، ونعجز عن تحليل ظاهرات الحياة الدولية تحليلا صحيحا .

ان الحملات التي يشنها الاستعماريون على الحركة الشيوعية الامية هي موجهة منذ زمان طويل على الاتحاد السوفياتي خاصة . والمناقشات التي ظهرت داخل الحركة الشيوعية الاممية في الآونة الاخيرة تتصل بقدر كبير ايضا بمفهوم الاتحاد السوفياتي . ولذا فان النظرة الصحيحة الى الطريق الاساسية التي سارت عليها الثورة وسار عليها البناء في الاتحاد السوفياتي تشكل مسألة من المسائل الهامة ينبغي للماركسيين اللينينيين ان يجيبوا عنها .

ان النظرية الماركسية عن الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا هي تعميم علمي لخبرة الحركة العمالية . غير انه فيما عدا كومونة باريس التي لم تعش سوى ٧٢ يوما ، لم يتسن لماركس وانجلس ان يريا بنفسهما تحقق الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا ، الامر الذي ناضلا من اجله طيلة حياتهما . وفي عام ١٩١٧ افلحت البروليتاريا الروسية ، بقيادة لينين والحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، في تحقيق الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا ، ثم في بناء المجتمع الاشتراكي . ومنذ ذلك الحين خرجت الاشتراكية العلمية من النطاق النظري والخيالي وباتت حقيقة واقعة . فثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا قد فتحت ، اذن ، عهدا جديدا ليس في تاريخ الحركة الشيوعية وحسب ، بل وفي تاريخ الانسانية كلها .

ولقد احرز الاتحاد السوفياتي نجاحات عظيمة في السنين التسع والثلاثين التي انقضت بعد الثورة . وبعد ان قضى الاتحاد السوفياتي على نظام الاستثمار ، وضع ، على الصعيد الاقتصادي ، حدا نهائيا للفوضى والازمات والبطالة . ويعرف اقتصاد الاتحاد السوفياتي وثقافته تطورا لا سبيل الى المقارنة بينه وبين تطور اقتصاد وثقافة البلدان الرأسمالية . ففي عام ١٩٥٦ بلغ انتاج الصناعة السوفياتية الاجمالي مقدار ٣٠ ضعفا بالنسبة الى اعلى مستوى بلغه هذا الانتاج عام ١٩١٣ السابق للثورة . وان هذه البلاد ،

التي كانت قبل الثورة ذات صناعة متأخرة ومعظم سكانها اميون ، قد اصبحت اليوم الدولة الصناعية الثانية في العالم ، ولديها ملاكات علمية وتكنيكية متقدمة بالنسبة الى البلدان الاخرى، وثقافة اشتراكية عالية التطور . وبعد ان كان شغيلة الاتحاد السوفياتي مظلومين قبل الثورة ومضطهدين ، باتوا اليوم اسياد بلادهم والمجتمع ، وقد ابدى هؤلاء الشغيلة نشاطا عظيما وبادرة خلاقة في النضال الثوري والعمل الانشائي ، ولقد تبدلت اوضاعهم المادية وحياتهم الثقافية تبدلا جذريا . كانت روسيا ما قبل الثورة ، في الاساس، سجنا للشعوب التي تقطن هذه البلاد ، وبعد ثورة اكتوبر ، تبدلت الامور ، وغدت هذه الشعوب متساوية في الحقوق ، وترعرعت سريعا في شكل امم اشتراكية متقدمة .

ولم تكن طريق تطور الاتحاد السوفياتي طريقا هينة قط . فمن سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٠ هاجمت الاتحاد السوفياتي ١٤ دولة رأسمالية . وحلت بالاتحاد السوفياتي ، في اول عهده ، محن خطيرة : الحرب الاهلية ، المجاعة ، صعوبات اقتصادية ، نشاط النزعة التطرفية والانشقاقية في داخل الحزب. وفي مرحلة حاسمة من الحرب العالمية الثانية ، قبل قيام بلدان الغرب بفتح الجبهة الثانية ، تحمل الاتحاد السوفياتي بمفرده عبء الهجوم الذي قامت به ملايين جنود الجيش الهتلري وشركائه ، وسحقهم . ان هذه المحن القاسية لم تدرك الاتحاد السوفياتي ولا اوقفت سيره الى الامام .

سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية

ان وجود الاتحاد السوفياتي قد زعزع سلطان الاستعمار من جذوره ، وبعث في الحركة العمالية الثورية وحركة التحرر الوطني لدى الشعوب المغلوبة على امرها ، امالا لا تعرف الحدود ، وبث فيها الثقة والشجاعة . وقد ساند شغيلة جميع البلدان الاتحاد

السوفياتي ، وساندهم الاتحاد السوفياتي بدوره . وسار الاتحاد السوفياتي على سياسة خارجية قوامها الدفاع عن السلام في العالم اجمع ، والاعتراف بتساوي جميع الامم في الحقوق ، والنضال ضد العدوان الاستعماري . وكان الاتحاد السوفياتي القوة الرئيسية في العالم التي احرزت النصر على الاعتداء الفاشستي. وقد حرر الجيش السوفياتي الباسل بلدان اوربا الشرقية وجزءا من اوربا الوسطى ، والجزء الشمالي من كوريا بالتعاون مع القوى الشعبية في هذه البلدان . واقام الاتحاد السوفياتي علاقات ودية مع جميع بلدان الديمقراطية الشعبية ، وساعدها في البناء الاقتصادي ، وكون معها للسلام العالمي حصنا حصينا هو المعسكر الاشتراكي . هذا وقد ادى الاتحاد السوفياتي معونة جديرة بالاعتبار لاستقلال الامم المغلوبة على امرها في العالم كله . ولحركة شعوب العالم في سبيل السلام ، وللعديد من الدول السليمة التي نشأت في آسيا وافريقيا بعد الحرب العالمية الثانية .

ان كل ما تقدم ذكره وقائع لا يطالها الريب ، معروفة منذ زمان بعيد . فما الداعي الى التذكير بها اليوم ؟ ذلك لان اعداء الشيوعية ينكرون كل ذلك ، شأنهم في الماضي ، وان بعض الشيوعيين ، اذ يناقشون الان تجربة الاتحاد السوفياتي ، انما يركزون انتباههم في كثير من الاحيان الى الناحية الثانوية من المسألة ويغفلون الناحية الاساسية .

للاتحاد السوفياتي تجربة في النجاحات وتجربة في الاخطاء

ان لتجربة الثورة والبناء في الاتحاد السوفياتي عدة نواح مختلفة من حيث الاهمية الاممية لهذه التجربة ، فان قسما من تجربة نجاحات الاتحاد السوفياتي يكتسي طابعا اساسيا وله اهمية عامة في المرحلة الحاضرة من تاريخ الانسانية. هنا نجد الناحية الاساسية في التجربة السوفياتية ، والقسم الآخر من هذه التجربة ليس ذا اهمية شاملة .

هذا وان للاتحاد السوفياتي ايضا تجربة في الاخطاء والاخفاقات واختلاف درجة خطورتها ، فليس باستطاعة أي بلد ان يتلافاها تلافيا تاما . وبما ان الاتحاد السوفياتي كان اول دولة اشتراكية ، فلم يكن بامكانه ان يستفيد من تجربة النجاحات فيجعل منها مثالا يتمشى عليه ، وكان من الاصعب عليه ايضا ان يتجنب بعض الاخطاء والاخفاقات وهذه الاخطاء والاخفاقات انما هي درس ذو فائدة قصوى لجميع الشيوعيين . ولذلك فان تجربة الاتحاد السوفياتي كلها ، بما فيها تجربة الاخطاء والاخفاقات ، لجديرة بان ندرسها باعتناء ، هذا بالاضافة الى ان تجربة الاتحاد السوفياتي الاساسية هي ذات اهمية خاصة . فان وقائع تطور الاتحاد السوفياتي تدل على ان التجربة الاساسية للثورة والبناء في الاتحاد السوفياتي هي نجاح عظيم وهي اول نشيد ظفر للماركسية اللينينية في تاريخ الانسانية دوى في الكون كله .

فما هي ، اذن ، التجربة الاساسية للثورة والبناء في الاتحاد السوفياتي ؟ في نظرنا ان التجربة التالية تتسم على الاقل بطابع اساسي :

١ – ان ممثلي طليعة البروليتاريا يتجمعون في الحزب الشيوعي . ويستلهم هذا الحزب السياسي الماركسية اللينينية في نشاطه . وهو مبني على مبدأ المركزية الديمقراطية ، ومتصل بالجماهير وثيق الاتصال ، وينزع الى ان يصير نواة جماهير الشغيلة ، ويربي اعضاءه وجماهير الشعب على روح الماركسية اللينينية .

٢ – ان البروليتاريا ، بقيادة الحزب الشيوعي ، وقد جمعت الشغيلة ، تنتزع السلطة من البرجوازية بواسطة النضال الثوري .

٣ – بعد انتصار الثورة ، تعمد البروليتاريا ، بقيادة الحزب الشيوعي والإستناد الى تحالف العمال والفلاحين وبعد جمع صفوف الجماهير الشعبية الكبيرة ، الى اقامة دكتاتورية البروليتاريا الموجهة ضد طبقتي الملاكين العقاريين الكبار والبرجوازية ، وتسحق مقاومة العناصر المناهضة للثورة ، وتؤمم الصناعة ، وتقوم تدريجيا بتعميم

الجماعية في الزراعة ، قاضية بذلك على نظام الاستثمار ونظام الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، ومزيلة للطبقات .

٤ – ان الدولة التي تقودها البروليتاريا والحزب الشيوعي توجه الجماهير الشعبية الى التطور المبرمج للاقتصاد والثقافة الاشتراكية ، وترفع بالتالي تدريجيا مستوى حياة الشعب ، وتعمل بنشاط على تهيئة الاوضاع للنضال من اجل الانتقال الى المجتمع الشيوعي .

٥ – ان الدولة التي تقودها البروليتاريا والحزب الشيوعي تقف بحزم وثبات ضد العدوان الاستعماري ، وتعترف بتساوي الامم في الحقوق ، وتدافع عن السلام العالمي ؛ وتتمسك تمسكا ثابتا بمبادىء الاممية البروليتارية ، وتبذل كل شيء كي تتمتع بمؤازرة شغيلة جميع البلدان وكي تؤازر هي ايضا شغيلة جميع البلدان وجميع الامم المغلوبة على امرها .

اننا حين نتكلم عادة عن طريق ثورة اكتوبر نضع هذه الامور بالضبط نصب اعيننا بوصفها الشيء الاساسي ، تاركين جانبا الشكل المحسوس الذي اتخذته هذه الثورة في زمان ومكان معينين . وهذه العناصر الاساسية إنما تشكل حقيقة شاملة في الماركسية اللينينية الصحيحة بالنسبة الى العالم قاطبة .

لكل دولة طريق تطورها الخاص

ان سير الثورة والبناء في كل بلاد له ايضا نواحيه المختلفة وان يكن يتسم بملامح عامة . ولكل دولة ، من هذا القبيل ، طريق تطورها المحسوسة الخاصة بها . اننا سنعالج هذه المسألة فيما بعد . ولكننا حين نتكلم من جهة الافكار الاساسية ، فان طريق ثورة اكتوبر هي كناية عن الطريق العامة للثورة والبناء في مرحلة معينة من الطريق

الكبرى التي يتطور عليها المجتمع البشري . وهي ليست طريقا كبيرة لبروليتاريا الاتحاد السوفياتي وحسب ، بل انها الطريق الكبيرة العامة التي ينبغي ان يسير عليها البروليتاريون في جميع البلدان ايضا كي يحرزوا النصر . ولذلك اعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في تقريرها السياسي المقدم اثناء المؤتمر الثامن ما يلي : ((بالرغم من ان للثورة في بلادنا خصائص عديدة ، فان الشيوعيين الصينيين يعتبرون عملهم تكملة لثورة اكتوبر العظيمة)) .

ان الدفاع عن طريق الماركسية اللينينية التي شقتها ثورة اكتوبر هو امر ذو اهمية خاصة جدا في الوضع الدولي الحاضر .

فالاستعماريون ، اذ يعلنون عزمهم على ((تبديل طريقة العالم الشيوعي)) ، انما هم يريدون بالضبط تحوير طريق الثورة هذه . وفي عشرات السنين الاخيرة ، كانت جميع الاراء التعديلية التي قال بها انصار تعديل الماركسية اللينينية ، وجميع الافكار الانتهازية اليمينية التي روجوا لها ، كانت ترمي بالضبط الى الانحراف عن هذه الطريق التي هي طريق الزامية من اجل انعتاق البروليتاريا . فمن واجب جميع الشيوعيين ان يوحدوا صفوف البروليتاريا ويوحدوا الجماهير الشعبية ويصدوا بعزم وثبات حملة الاستعماريين الصاخبة على العالم الاشتراكي ، وان يتقدموا بعزم وطيد في الطريق التي شقتها ثورة اكتوبر .

ويسأل الناس قائلين : اذا كانت الطريق الاساسية للثورة والبناء في الاتحاد السوفياتي هي طريق قويمة ، فلماذا ظهرت اخطاء ستالين ؟

لقد سبق لنا ان بحثنا هذه المسألة في مقالنا المنشور في شهر نيسان . الا انه نظرا الى التطورات الاخيرة للوضع في شرقي اوروبا والملابسات الاخرى المتصلة بذلك ، فان مسألة فهم اخطاء ستالين فهما صحيحا واخذ فكرة صحيحة عن هذه الاخطاء ، باتت قضية جديدة تؤثر في التطور الداخلي للاحزاب الشيوعية في بلدان عديدة وفي الوحدة بين الاحزاب الشيوعية في مختلف البلدان ، قضية جدية تؤثر في النضال المشترك الذي تخوضه قوى الشيوعية في العالم كله ضد الاستعمار . وعليه ، فقد بات من الضروري اعطاء بعض الايضاحات الاضافية لوجهة نظرنا فيما يتعلق بهذه المسألة .

مآثر ستالين واخطاؤه

ان لستالين فضلا كبيرا في تطور الاتحاد السوفياتي وفي تطور الحركة الشيوعية الاممية . وقد جاء في المقال الذي نشرناه بعنوان ((حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا)) ما يلي : ((بعد وفاة لينين ، قام ستالين ، بصفته القائد الرئيسي للحزب والدولة ، بتطبيق وتطوير الماركسية اللينينية على نحو خلاق وفي النضال دفاعا عن التراث اللينيني ضد اعداء اللينينية – من اتباع تروتسكي وزينوفييف وغيرهم من عملاء البورجوازية – عبر ستالين عن ارادة الشعب ، وكان مجاهدا كفؤا وبارزا في سبيل الماركسية اللينينية . وقد اكتسب ستالين تأييد ارادة الشعب السوفياتي ولعب دورا هاما في التاريخ ، وذلك بالدرجة الاولى نظرا الى انه دافع مع سائر قادة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي عن النهج اللينيني في تصنيع بلاد السوفيات وتعميم الجماعية في الزراعة . ولقد ادى تمشي الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي على هذا النهج الى انتصار النظام الاشتراكي ، وهيأ الاوضاع التي قيضت للاتحاد السوفياتي ان ينتصر في الحرب على هتلر . وان جميع هذه الانتصارات التي احرزها الشعب السوفياتي تتفق مع

مصالح الطبقة العاملة ومصالح الانسانية التقدمية جمعاء . ولذا كان من الطبيعي ان يتمتع اسم ستالين بمجد عظيم في العالم بأسره)) .

اسباب اخطاء ستالين

بيد ان ستالين قد اقترف بعض الاخطاء الجسيمة ، سواء في سياسة الاتحاد السوفياتي الداخلية ام الخارجية ، فان اساليب عمل ستالين ، المبنية على الاساليب الكيفية ، قد ألحقت ، الى حد ما ، ضررا بمبدأ المركزية الديمقراطية في حياة الحزب وفي ادارة الدولة في الاتحاد السوفياتي ، وانتهكت الشرائع الاشتراكية بقدر ما . وبالنظر الى ان ستالين كان ينقطع عن الجماهير في كثير من حقول العمل . وكان يتخذ بصفة شخصية تدابير بشأن كثير من التوجيهات الهامة ، فكان لا مناص له من ان يرتكب اخطاء فاحشة، وقد ظهرت هذه الاخطاء بنوع خاص في قضية تصفية الثورة المعاكسة وفي قضية العلاقات بين بعض البلدان . اما فيما يختص بالقضاء على الثورة المعاكسة ، فان ستالين قد انزل العقاب بكثيرين من دعاة الثورة المعاكسة الذين كان يجب ان يعاقبوا ، وادى من حيث الاساس المهمات الموضوعة على هذه الجبهة ، غير انه اتهم في الوقت ذاته وبدون حق كثيرين من الشيوعيين المخلصين والمواطنين الصالحين مما ادى الى ضرر فاحش . اما في حقل العلاقات مع البلدان الشقيقة والاحزاب الشقيقة ، فقد كان ستالين على وجه العموم يحافظ على مواقف الاممية ويسهم في النضال الذي تخوضه شعوب البلدان المتخلفة وفي انماء المعسكر الاشتراكي . غير انه كان يبدي في حل بعض المسائل الحسية ميلا الى شوفينية الدولة الكبرى ، وكانت تنقصه روح المساواة . وفي الامر اكثر من ذلك ، اذ انه لم يكن من مجال لتربية جماهير واسعة من الملاكات على يده بروح من التواضع ، وكان بعض الاحيان يتدخل عن غير حق في الشؤون

الداخلية لبعض البلدان الشقيقة وبعض الاحزاب الشقيقة ، مما ادى الى كثير من العواقب الوخيمة .

فكيف ينبغي تفسير اخطاء ستالين الفادحة هذه ؟ وما هي الصلة بين هذه الاخطاء ، وبين النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي ؟

يقول علم الديالكتيك الماركسي اللينيني ان كل شكل من اشكال علاقات الانتاج ، وكل بناء فوقي قام على اساس علاقات الانتاج هذه ، ينطوي على اسباب الولادة والتطور والزوال . فعندما تبلغ القوى الانتاجية مرحلة ما في تطورها ، تصبح علاقات الانتاج الشائخة ، بالاساس ، غير متوافقة معها ، وعندما يبلغ البناء التحتي الاقتصادي مرحلة ما من تطوره يصبح البناء الفوقي الشائخ ، بالاساس ، غير متوافق معه ، وحينذاك تحصل لا محالة تبدلات ذات طبيعة جوهرية . وكل من يعترض هذه التبدلات يطرحه التاريخ جانبا . ان هذه السنة تنطبق تحت اشكال مختلفة ، على جميع المجتمعات . وهذا يعني ان هذه السنة تنطبق ايضا على المجتمع الاشتراكي القائم وعلى المجتمع الشيوعي المقبل .

فهل تعود اخطاء ستالين الى ان النظام الاقتصادي الاشتراكي والنظام الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي قد وصلا الى مرحلة الهرم وباتا لا يتفقان مع متطلبات تطور الاتحاد السوفياتي ؟ كلا بكل تأكيد . فالمجتمع الاشتراكي – الاتحاد السوفياتي – ما يزال شابا ، وهو موجود منذ اقل من اربعين سنة . وان سرعة تطور اقتصاد الاتحاد السوفياتي بحد ذاتها لتشهد بان النظام الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي هو ايضا متوافق بالاساس مع متطلبات البناء التحتي الاقتصادي . فاخطاء ستالين ليست وليدة النظام الاشتراكي مطلقا ومن الاكيد ان اصلاح هذه الاخطاء لا يستلزم ((اصلاح)) النظام الاشتراكي . ان البرجوازية الغربية تحاول استغلال اخطاء ستالين سعيا الى اثبات ((اخطاء)) النظام الاشتراكي ، وهو امر لا يرتكز على أي اساس . وهناك ايضا اناس يحاولون تفسير اخطاء ستالين بكون السلطة العامة في البلدان الاشتراكية هي التي تتصرف بالشؤون

الاقتصادية ، ويعتبر هؤلاء ان الحكومة ، اذا ما قامت بادارة النشاط الاقتصادي ، اصبحت حتما ((جهازا بيرقراطيا)) يحول دون تطور القوى الاشتراكية . وهذا ايضا تفسير لا طائل تحته . فانه ما من احد يستطيع انكار ان النهوض العظيم لاقتصاد الاتحاد السوفياتي هو بالضبط نتيجة اضطلاع دولة الشغيلة بادارة النشاط ألاقتصادي المبرمج ، وليس لاخطأ ستالين الرئيسية سوى صلة ضئيلة بنواقص عمل جهاز الدولة في حقل ادارة الشؤون الاقتصادية .

بيد انه حتى في حال كون النظام الاساسي متفقا مع الحاجات ، تبقى هناك بعض تناقضات بين علاقات الانتاج والقوى الانتاجية ، بين البناء الفوقي والبناء التحتي الاقتصادي . وتتجلى هذه التناقضات في الشوائب التي تعتري بعض التناقضات لا يحتاج الى اجراء تغييرات ذات طابع اساسي ، الا ان من الضروري تسويتها في الوقت اللازم.

وهل يمكن ضمان عدم حصول اخطاء فيما اذا كان النظام الاساسي متوافقا مع الحاجات ، وفيما اذا كانت التناقضات ذات الطابع العابر قد سويت في هذا النظام (المقصود بذلك ، حسب الديالكتيك ، تناقضات في طور ((تغييرات كمية))) ؟ ان المسالة ليست سهلة بقدر ما يبدو ، فان للنظام اهمية حاسمة . بيد ان النظام بحد ذاته ليس على الاطلاق شيئا كلي القدرة . ومهما يكن النظام صالحا فانه لا يمكن ان يكون ضمانة ضد كل خطأ فادح في العمل . وبعد ان يتم خلق النظام الصالح ، تصبح المسألة الرئيسية ملخصة في تطبيق هذا النظام تطبيقا صحيحا ، في نهج سياسي صائب في طرائق واسلوب للعمل صحيحة . وبدون ذلك يظل ممكنا ، حتى في اوضاع نظام صحيح ، وحتى في حال الاعتماد على جهاز للدولة صالح ، ان ترتكب اخطاء فاحشة ، وان يحصل عمل سيء .

فينبغي حل المسائل السابقة الذكر عن طريق تكديس الخبرة والتحقق العملي ، ومن غير الممكن حلها دفعة واحدة . وبالاضافة الى ذلك ، فان الوضع يتغير دون انقطاع ، ولا يكاد يتم حل المسائل السابقة حتى تبرز مسائل جديدة ، وليس يمكن ان يكون هناك

حل صحيح لكل زمان . فاذا نظرنا الى الامور من هذه الزاوية لما ادهشنا ان نرى نواقص ما تزال موجودة في البلدان الاشتراكية حيث انشىء اساس مكين في بعض حلقات الانتاج والبناء الفوقي ، وان ثمة انحرافات ما في السياسة من جانب الحزب والدولة ، في طرائق العمل واسلوبه .

ان مهمة الحزب والدولة ، في البلدان الاشتراكية ، هي ان يقوما في الوقت اللازم . اجل ، ان ادراك الواقع ادراكا ذاتيا من قبل قادة الحزب والدولة لا يمكن ابدا ان يكون مطابقا مئة بالمئة للواقع الموضوعي . ولذا فانه لا مناص لهما من الوقوع في مختلف الاخطاء الجزئية ، العارضة ، اثناء عملها. غير انه يمكن تلافي الاخطاء الفادحة الطويلة الامد والاخطاء الفادحة على صعيد الدولة بشرط التمسك الدقيق بعلم المادية الديالكتيكية الماركسية اللينينية ، وتطوير هذا العلم بشدة ، بشرط التقيد الدائب بمبادىء المركزية الديمقراطية في الحزب والدولة ، بشرط ، الاستناد حقا الى الجماهير.

ان بعض اخطاء ستالين قد تحولت في آخر مرحلة من حياته الى اخطاء خطيرة طويلة الامد وعلى صعيد الدولة ، ولم يكن من الممكن اصلاحها في الوقت اللازم لانه كان قد انقطع عن الجماهير والجماعة الى حد ما وبقدر ما ، وكان قد انتهك مبادىء المركزية الديمقراطية في الحزب والدولة. ان بعض الانتهاك لمبادىء المركزية الديمقراطية في الحزب والدولة يعود الى اوضاع اجتماعية وتاريخية معينة : لم تكن للحزب بعد خبرة كافية في حقل ادارة الدولة ، ولم يكن النظام الجديد بعد قد اصبح مكينا حتى يجابه كل تأثير من تأثيرات الزمن الماضي (ان عملية توطيد النظام الجديد وتلاشي التأثيرات القديمة لا تسير على خط مستقيم ، اذ انه كثيرا ما تحدث بعض التقلبات في مراحل الانعطافات التاريخية) . كان النضال الشاق داخل البلاد وخارجها يقوم بدور يحد من تطور بعض نواحي الديمقراطية الخ .. بيد ان جميع العوامل الموضوعية هي بحد ذاتها غير كافية بتاتا لنقل الاخطاء من حيز الامكان الى حيز الواقع . فان لينين ، قد مر باوضاع اشد تعقيدا وصعوبة من التي مر بها ستالين ، ولكنه لم يرتكب اخطاء مماثلة

لأخطاء ستالين . وهنا يكون فكر الانسان هو العامل الحاسم . ان ستالين ، في المرحلة الاخيرة من حياته ، قد استسلم لنشوة الانتصارات والمدائح المتواصلة ، كما انه قد انحرف ، من حيث طرائق التفكير ، انحرافا جزئيا ولكنه خطير ، عن المادية الديالكتيكية ، ووقع في التفكير الذاتي . ولقد تملكه اليقين من حكمته وسلطته الشخصية ، فما كان يريد ان يهتم جديا بتحليل واستقصاء الحالات المختلفة المعقدة والواقعية ، ولا يريد سماع اراء الرفاق وصوت الجماهير ، وقد ادى ذلك الى ان بعض الافكار والتدابير الصادرة عنه كانت في كثير من الاحيان مخالفة للحالة الموضوعية الواقعية ، وكان في كثير من الاحيان يتشبث زمانا طويلا بتنفيذ هذه الافكار والتدابير الخاطئة ، وما كان يستطيع تقويمها في الوقت اللازم .

ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي قد باشر اصلاح اخطاء ستالين وازالة عواقب هذه الاخطاء ، وهو ينجح في ذلك . ولقد ابدى المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي حزما عظيما وجرأة بالغة في العمل على ازالة تقديس ستالين ، وعلى تبيان خطورة اخطاء ستالين ، ومحو عواقب اخطاء ستالين . وان الماركسيين اللينينيين ومن يعطفون على قضية الشيوعية في العالم كله ، يساندون الجهود التي يبذلها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي بغية اصلاح الاخطاء وهم راغبون في ان تتكلل جهود الرفاق السوفياتيين بالنجاح التام . ومن الجلي كل الجلاء ان اصلاح اخطاء لن يتم بين ليلة وضحاها ، لان هذه الاخطاء لم تكن ذات امد قصير ، بل ان هذا يستلزم بذل الجهود خلال مدة طويلة نسبيا ، ومن الضروري القيام بعمل دقيق ايديولوجي وتربوي . ونحن واثقون من ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، هذا الحزب العظيم الذي تغلب فيما مضى على صعوبات لا تحصى ، سيتغلب دوما دون ريب على هذه الصعوبات ايضا ويبلغ غايته .

وبديهي ان نضال الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي من اجل اصلاح الاخطاء لن يلاقي مساندة من جانب البرجوازية والاحزاب الديمقراطية الاشتراكية اليمينية في

الغرب . فان هؤلاء سعيا منهم الى استغلال هذا النضال بقصد طمس الناحية الصحيحة من اعمال ستالين ، وطمس النجاحات العظيمة التي احرزها في الماضي الاتحاد السوفياتي ومجموع المعسكر الاشتراكي ، وبقصد بث الارتباك والتفرقة في صفوف الشيوعيين انهم يتشبثون بوصف اصلاح اخطاء ستالين بانها نضال ضد ((الستالينية)) نضال يقوم به ((اخصام الستالينيين)) ... وهنا يتجلا سوء نيتهم بوضوح . ومما يؤسف له ان اقوالا من هذا النوع قد سرت بين بعض الشيوعيين ، ونحن نعتبر ان صدور مثل هذه الاقوال عن شيوعيين هو امر في غاية الضرر .

مآثر ستالين في الدرجة الاولى واخطاؤه في الدرجة الثانية

كل يعلم ان حياة ستالين ، رغم بعض الاخطاء الجسيمة التي اقترفها في المرحلة الاخيرة ، كانت حياة ثوري ماركسي لينيني كبير . فقد خاض ستالين في شبابه النضال ضد القيصرية وفي سبيل نشر الماركسية اللينينية ، ثم دخل الهيئة المركزية لقيادة الحزب فناضل في سبيل تهيئة ثورة ١٩١٧ ، وناضل بعد ثورة اكتوبر ، دفاعا عن ثمار هذه الثورة ، وبعد وفاة لينين ناضل طوال نحو ٣٠ سنة من اجل بناء الاشتراكية والذود عن الوطن الاشتراكي وانماء الحركة الشيوعية العالمية . وبوجه عام ، كان ستالين على الدوام في طليعة مجرى التاريخ ، ويوجه النضال ، وكان عدوا للاستعمار لا تلين له قناة. ومأساة ستالين كانت تقوم بالضبط على انه ، حتى حين كان يرتكب اخطاء ، كان يعتقد ان كل ما يعمل هو ضروري لحماية مصالح الشغيلة من مكائد الاعداء . على كل حال ، وبالرغم من ان اخطاء ستالين قد سببت للاتحاد السوفياتي ضررا كان ينبغي ان لا يحصل ، فان الاتحاد السوفياتي الاشتراكي قد تطور في عهد قيادة ستالين تطورا عظيما. وهذا الواقع الذي لا يقبل الدحض لا يثبت قوة النظام الاشتراكي وحسب ، بل وان ستالين

كان ، مع ذلك ، شيوعيا راسخا . ولذلك فمن واجبنا ، حين نجمل النظر في ايديولوجية ستالين واعماله بوجه عام ، ان نرى في آن واحد نواحيه الايجابية والسلبية ، مآثره واخطاءه . فاذا نحن واجهنا المسألة من جميع وجوهها ، واذا كان لا بد من الكلام عن ((الستالينية)) لبات بالامكان والحالة هذه ان نقول ان ((الستالينية)) هي ، قبل كل شيء ، الشيوعية ، هي الماركسية اللينينية ، فهذا هو وجهها الاساسي ، ويتضمن هذا الوجه بعض اخطاء هي في غاية الخطورة ، وهي مخالفة للماركسية اللينينية ، وتتطلب اصلاحا اساسيا . ومع ان الضرورة تقضي في بعض الحالات بالتشديد على هذه الاخطاء بالضبط ، وذلك بغية اعطاء حكم صحيح والحيلولة ، دون سوء الفهم عند الناس. ونحن نرى انه لو شئنا ان نقارن بين اخطاء ستالين ومآثره لجاءت اخطاءه في المرتبة الثانية .

وليس يمكننا ان نقف حيال ستالين وحيال جميع الرفاق الذين ارتكبوا تحت قيادته اخطاء مماثلة ، موقفا صحيحا حيال اخطائهم ، ما لم نواجه القضية على نحو موضوعي وتحليلي . وبما ان اخطاءهم هي اخطاء اناس شيوعيين في اثناء عملهم ، فانها تشكل مسألة داخلية في صفوف الشيوعيين ، مسألة معرفة ما هو صحيح وما هو خاطىء ، وليست مسألة معرفة من تكون الجهة الاخرى في النزاع الطبقي : اهي عدو ام رفيق . فينبغي ان نقف من هؤلاء الرفاق موقفنا من رفاق لا من اعداء ، وعلينا، ونحن ننتقد مواطن الخطأ لديهم ، ان ندافع عن النواحي الجيدة ، وليس ان نكتفي بالانكار لا اكثر ولا اقل ، فان لأخطاء هؤلاء جذورا اجتماعية وتاريخية ، وعلى الاخص جذورا تتصل بملكة الادراك . واذن ، بما ان هذه الاخطاء قد صدرت عنهم ، فقد كان يمكن ان تصدر ايضا عن بعض سائر الرفاق ، ولذا فان من الواجب ، بعد فهم هذه الاخطاء وتقويمها ، ان تعتبر درسا جديا ، وان تعتبر خيرا يمكن استخدامه في رفع مستوى الوعي لدى جميع الشيوعيين ، بغية الحيلولة دون تكرر مثل هذه الاخطاء ، وفي سبيل السير بقضية الشيوعية الى امام . اما في الحالة المعاكسة ، حالة الوقوف من الاشخاص الذين ارتكبوا

هذه الاخطاء موقفا انكاريا لا اكثر ولا اقل ، حالة وسمهم بنعوت تطلق على هذه العناصر او تلك ومعاملتهم معاملة التمييز والعداء ، فان رفاقنا لا يستطيعون والحالة هذه ان يستخلصوا العبر اللازمة ، بل يحصل آنئذ اختلاط بين نوعين من التناقضات لكل منهما طابع يختلف عن الآخر – التناقضات بين ما هو صحيح وما هو خاطىء ، والتناقضات بين الاعداء والاصدقاء – ولا بد لهذا من ان يساعد الاعداء موضوعيا في نضالهم ضد صفوف الشيوعيين ولهدم مواقع الشيوعية .

كيف واجه تيتو والشيوعيون اليوغسلافيون اخطاء ستالين

ان الرفيق تيتو وسائر الرفاق قادة رابطة الشيوعيين في يوغسلافيا لم واجهوا ، في خطبهم الاخيرة، اخطاء ستالين وسائر المسائل المتصلة بها مواجهة موضوعية ومن جميع النواحي . فاذا كان الرفاق اليوغسلافيون يكنون كرها خاصا لاخطاء ستالين ، فقد يكون ذلك مفهوما . ان الرفاق اليوغسلافيين قد عرفوا ظروفا عسيرة في الماضي ، وبذلوا جهودا ثمينة للدفاع عن الاشتراكية . وهم قد حققوا في المؤسسات الصناعية وغيرها من المنظمات الاجتماعية خبرة بالادارة الديمقراطية ، مما لفت كذلك انظار الناس . والشعب الصيني يرحب بالتسوية السلمية التي تمت بين الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية من جهة ، ويوغسلافيا من جهة اخرى ، وهو يحيي قيام وتطور العلاقات الودية بين الصين ويوغسلافيا ، ويتمنى ليوغسلافيا شأن الشعب اليوغسلافي ، تفتحا جديدا ونموا لقدرتها في طريق الاشتراكية . ونحن نشاطر الرفيق تيتو ايضا بعض الآراء التي ادلى بها في خطابه الآنف الذكر ، حين ادان المعادين للثورة المجرية وايد الحكومة الثورية للعمال والفلاحين في المجر ، وادان الحزب الاشتراكي الفرنسي بسبب سياسته العدوانية . غير اننا دهشنا ، مع ذلك اذ رأيناه في خطابه هذا يحمل على جميع

البلدان الاشتراكية تقريبا ، وعلى كثير من الاحزاب الشيوعية . ويقول الرفيق تيتو ان اناسا من ((الستالينيين)) المتصلبين ، قد تمكنوا من الاحتفاظ بمراكزهم في مختلف الاحزاب الشيوعية ، وانهم يودون ان يعززوا سيطرتهم من جديد وان ((يفرضوا هذه الميول الستالينية على شعوبهم والشعوب الاخرى ايضا .))

موقف عدائي يتخذه الشيوعيون اليوغسلافيون حيال الاحزاب الشيوعية الاخرى

ولذلك يعلن الرفيق تيتو قائلا : ((علينا ان نكافح مع الرفاق البولونيين هذه الميول التي تبدو في مختلف الاحزاب الاخرى سواء اكان ذلك في بلدان الشرق ام في بلدان الغرب)) . اننا لم نطلع على تصريحات للرفاق قادة الحزب البولوني يرون فيها من اللازم اتخاذ موقف عدائي كهذا حيال الاحزاب الشقيقة . اما فيما يتعلق بتصريحات الرفيق تيتو الذي حمل على ما سمي ب ((الستالينية والستالينيين)) الخ .. ثم قال ان القضية الان تنحصر كلها في معرفة ما اذا كان ((الاتجاه الذي بدأته يوغسلافيا)) سينتصر ام ذاك الذي سمي ب ((الاتجاه الستاليني)) فان موقفا كهذا هو موقف خاطىء ولا يمكن ان يؤدي بالحركة الشيوعية الا الى الشقاق .

لقد اصاب الرفيق تيتو حين قال: ((اننا اذا نظرنا الى تطور المجر الحالي نظرة بعيدة – الاشتراكية ام الثورة المعاكسة – وجب علينا ان ندافع عن حكومة كادار الحالية ، علينا ان نساعدها)) . بيد ان الخطاب الطويل الذي القاه الرفيق كاردلج ، نائب رئيس المجلس التنفيذي الاتحادي اليوغسلافي ، في دورة المجلس الشعبي الاتحادي اليوغسلافي ، حول قضية المجر ، يصعب وصفه بانه دفاع عن حكومة المجر ومساعدة لهذه الحكومة . فانه في هذا الخطاب لم يكتف بان اعطى لاحداث المجر تعليلا ليس فيه

أي تمييز بين الاصدقاء والاعداء ، بل انه طالب الرفاق المجريين بـ ((ضرورة اجراء تبديلات جذرية في النظام السياسي)) وطالبهم باعطاء السلطة كلها لمجالس عمال بودابست ومجالس العمال الاخرى في النواحي ((أيا كانت)) ، كما طالبهم بعدم القيام بـ ((محاولات عقيمة في حقل اعادة بناء الحزب الشيوعي)) ، لان حزبا من هذا الطراز يجسد في نظرها (في نظر الجماهير – ملاحظة من ادارة التحرير) الاستبداد البيرقراطي)) . هذا هو نموذج الاتجاه غير الستاليني الذي وضع الرفيق كاردلج تصميمه من اجل بلاد شقيقة .

وقد رفض الرفاق المجريون اقتراح الرفيق كاردلج هذا فحلوا مجلس بودابست العمالي وسائر المجالس العمالية في النواحي ، هذه المجالس التي كان اعداء الثورة قد استولوا عليها . وهم الآن يعملون دائبين على توسيع صفوف الحزب العمالي الاشتراكي. نحن نعتبر ان الرفاق المجريين مصيبون كل الاصابة ، والا فلن يكون من اشتراكية في المجر ، بل تكون هناك الثورة المعاكسة .

بديهي ان الرفاق اليوغسلافيين قد ركبوا الشطط . وحتى لو كان في انتقاداتهم للأحزاب الشقيقة حبه من صواب ، فان موقفهم الاساسي والاساليب التي يعتمدونها هي غريبة عن مبادىء النقاش بين الرفاق . نحن لا نريد ان نتدخل في الشؤون الداخلية . وانه ، في سبيل تقوية الصفوف الشيوعية الاممية وعدم افساح المجال امام الاعداء كي يزرعوا التشويش والتفرقة في صفوفنا ، لا يسعنا الا ان نقدم نصحا اخويا الى الرفاق اليوغسلافيين .

ان نمو ميل الجمود العقائدي هو احدى العواقب الخطيرة التي نتجت عن اخطاء ستالين ، والاحزاب الشيوعية في جميع البلدان قد نبذت اخطاء ستالين وشرعت النضال

في سبيل القضاء على روح الجمود العقائدي ، ان هذا النضال لاغنى عنه البته . ولكن قسما من الشيوعيين قد اسهموا في نمو النزعة العقائدية الى تعديل الماركسية اللينينية ، فانكروا ستالين تماما ونادوا بالشعار الخاطىء ، شعار مكافحة ((الستالينية)) . ان هذه النزعة التعديلية هي دون ريب مؤاتية لهجوم الاستعمار على الحركة الشيوعية وان الاستعمار يستخدم في الواقع هذه النزعة استخداما نشيطا . فعلينا ، اذ نناهض روح الجمود العقائدي مناهضة حازمة ، ان نناهض ايضا النزعة التعديلية مناهضة حازمة .

تعتبر الماركسية اللينينية ان لتطور المجتمع البشري سبلا اساسية عامة ، وانه توجد لدى مختلف البلدان ومختلف الامم خصائص تتميز عن بعضها بشكل محسوس جدا . ولذلك ان جميع الامم تمر بتنازع الطبقات وتمضي الى الشيوعية في آخر الامر حسب سبل واحدة في بعض وجوهها الاساسية، متنوعة في اشكالها المحسوسة ، وانه فقط عن طريق تطبيق الحقيقة العامة في الماركسية اللينينية ، تطبيقا بارعا ، مع اخذ خصائص الأمم بعين الاعتبار ، يمكن لقضية البروليتاريا في مختلف البلدان ان تفوز بالنجاح . فاذا ما عملت البروليتاريا في جميع البلدان على هذا النحو لتسنى لها ان تكتسب خبرة جديدة، وبالتالي، ان تؤدي قسطا ثمينا ما بالنسبة لسائر الامم ، قسطا في كنز الماركسية اللينينية، بمجملها . ان أصحاب روح الجمود العقائدي لايدركون ان الحقيقة العامة في الماركسية اللينينية لا يمكن ان تطبق عمليا وتقوم بدور في الحياة الواقعية ما لم تمر ببعض الخصائص القومية . فهم لا يريدون ان يدرسوا جديا ما للدولة المعنية والبلد المعني من خصائص اجتماعية وتاريخية ، ولا يريدون تطبيق الحقيقة العامة في الماركسية اللينينية تطبيقا عمليا مع اخذ هذه الخصائص بعين الاعتبار . ولذلك فانهم لا يستطيعون السير بقضية البروليتاريا الى النصر .

وبما ان الماركسية اللينينية هي التعميم العلمي لخبرة الحركة العمالية في مختلف البلدان فليس يمكن بالطبع ان لا ينظر بانتباه جدي الى مسألة الاستفادة من خبرة البلدان الطليعية . لقد قال لينين في كتابه ما العمل : ((ان الحركة الاشتراكية الديمقراطية هي

حركة اممية من حيث طبيعتها بالذات . وهذا ليس يعني فقط ان من واجبنا ان نكافح التعصب القومي الاعمى . بل ويعني ايضا انه لا يمكن ان تنجح حركة ناشئة في بلاد فتية الا بشرط ان تعتمد عمليا على خبرة البلدان الاخرى (مؤلفات لينين ، المجلد ٥ الصفحة ٣٤٢ من الطبعة الروسية).

ان لينين كان يقول هنا ان على الحركة العمالية الناشئة في روسيا ان تستفيد من خبرة الحركة العمالية في اوربا الغربية . ورأيه هذا قابل للتطبيق ايضا فيما يتعلق بالاستفادة عمليا من الخبرة السوفياتية في البلدان الاشتراكية الفتية.

– لا يجوز نسخ خبرة الاتحاد السوفياتي نسخا اعمى –

بيد انه لابد للدراسة من ان تتحقق باساليب قويمة . فان خبرة الاتحاد السوفياتي كلها ، بما فيها القسم الاساسي ، هي مرتبطة ببعض الخصائص القومية ، ولا يجوز للبلدان الاجنبية ان تنسخها نسخا. وكما سبق القول ان الخبرة السوفياتية تحتوي ايضا خبرة في الاخطاء والاخفاقات . وهذه الخبرة بمجموعها ، بما فيها خبرة النجاحات وخبرة الاخفاقات ، انما هي كنز لا يقدر بالنسبة الى جميع من يدرسها جيدا ، ذلك انها تستطيع ان تساعدنا في تجنب السبل الملتوية وفي معاناة اقل ما يكون من الاضرار . وبالعكس ، اذا ما نسخت الخبرة نسخا اعمى ، حتى لو كانت هذه الخبرة هي خبرة نجاحات الاتحاد السوفياتي بمعزل عن خبرة الاخطاء ، فان هذا قد يؤدي في البلدان الاخرى الى اخفاقات. وقال لينين بعد ذلك ((ان الاكتفاء بمعرفة هذه الخبرة والاكتفاء بنسخ آخر المقررات في سبيل هذا التطبيق ، هما غير كافيين . بل ينبغي ، في هذا السبيل ، معرفة تمحيص هذه الخبرة والتحقق من صحتها على نحو مستقل . وان من يتصور الى أي حد تشعبت واتسعت الحركة العمالية الحاضرة يدرك مدى ما يتطلبه القيام بهذه المهمة من

احتياطي لا غنى عنه من القوة النظرية والخبرة السياسية (والثورية ايضا))) (مؤلفات لينين ، المجلد ٥ الصفحة ٣٤٢) . ومن البديهي ان المسألة في البلدان التي استولت البروليتاريا فيها على الحكم السياسي ، هي اشد تعقيدا بكثير مما كانت في زمان لينين .

اخطاء الجمود العقائدي في بولونيا والمجر

وفي تاريخ الحزب الشيوعي الصيني ، من عام ١٩٣١ الى عام ١٩٣٤ ، كان اصحاب نزعة الجمود العقائدي ينكرون خصائص الصين ، وينسخون تجربة ما عن الثورة الروسية : مما ادى الى حلول هزيمة خطيرة بالقوى الثورية في البلاد . وقد كانت هذه الهزيمة كبيرة لحزبنا . وفي المرحلة الواقعة بين الجلسة الموسعة التي عقدها المكتب السياسي للجنة المركزية في تسوني عام ١٩٣٥ وبين المؤتمر الوطني السابع الذي انعقد في عام ١٩٤٥ ، قضى حزبنا قضاء تاما على نهج الجمود العقائدي هذا الذي سبب ضررا كبيرا ، ثم جمع اعضاء الحزب كافة بما فيهم الرفاق الذين كانوا قد ارتكبوا اخطاء ، واطلق لقوى الشعب العنان ، وبفضل ذلك احرز النصر في الثورة . ولو لم نعمل على هذا النحو لكان انتصارنا مستحيلا . وبالنظر الى اننا تغلبنا على نهج الجمود العقائدي ، فان حزبنا ، الذي يدرس اليوم خبرة الاتحاد السوفياتي وسائر البلدان الشقيقة ، قد يقع في اخطاء ولكنها تكون صغيرة نسبيا . ولهذا بالضبط نستطيع تماما ان ندرك الضرورة والصعوبة اللتين يلاقيهما الرفاق في بولونيا والمجر كي يصلحوا الآن اخطاء الجمود العقائدي المرتكبة في المرحلة الفائتة .

في كل آن وكل مكان ينبغي اصلاح اخطاء الجمود العقائدي . وسنبذل الجهود من الآن وصاعدا في سبيل تقويم وتحاشي هذا النوع من الاخطاء في عملنا . ولكن مكافحة نزعة الجمود العقائدي لا يمت الى التساهل مع النزعة التعديلية . فالماركسية اللينينية تقربان

للحركة الشيوعية في مختلف البلدان خاصة قومية لا جدال فيها ، ولكن هذا ليس يعني بتاتا انه يمكن ان لا تكون للحركة الشيوعية في مختلف البلدان وجوه اساسية مشتركة ، وانه يمكنها ان تبتعد عن الحقيقة العامة في الماركسية اللينينية وفي الحركة القائمة الآن ضد نزعة الجمود العقائدي في بلادنا كما في الخارج ، يوجد اناس يجادلون فيما لخبرة الاتحاد السوفياتي الاساسية من اهمية اممية متسترين في ذلك بالنضال ضد نسخ الخبرة السوفياتية ، ومتسترين بتطوير الماركسية اللينينية الخلاق ، وينكرون اهمية الحقيقة العامة في الماركسية اللينينية .

لا دكتاتورية للبروليتاريا بدون مساندة الجماهير

وعلى اثر ارتكاب ستالين والقادة السابقين لبعض البلدان الاشتراكية الاخرى اخطاء فادحة كانت تشكل انتهاكا للديمقراطية الاشتراكية ، فان بعض العناصر غير الراسخة في صفوف الشيوعيين تحاول متسترة بتطوير الديمقراطية الاشتراكية ، ان تضعف او أن تنكر دكتاتورية البروليتاريا ، ان تضعف او تنكر المركزية الديمقراطية في البلدان الاشتراكية ، ودور الحزب القيادي . فعلى دكتاتورية البروليتاريا ان توحد توحيدا وثيقا بين الدكتاتورية على قوى الثورة المعاكسة وبين اوسع اشكال الديمقراطية الشعبية ، أي الديمقراطية الاشتراكية . ولا يمكن ان يكون في هذا مجال لاي شك. ان دكتاتورية البروليتاريا قوية ويمكنها ان تقهر اعداء خطيرين في داخل البلاد وخارج حدودها وان تضطلع بتأدية المهمة التاريخية العظيمة ، مهمة بناء الاشتراكية ، وذلك بالضبط لانها دكتاتورية الجماهير الكادحة على المستثمرين ، دكتاتورية الاكثرية على الاقلية ، لانها تحقق للجماهير الكبيرة الكادحة ديمقراطية لا تحققها اية ديمقراطية برجوازية . وليس يمكن ان تكون هناك دكتاتورية بروليتاريا ؛ او على الاقل دكتاتورية وطيدة للبروليتاريا

بدون روابط وثيقة مع الجماهير الكبيرة الكادحة بدون مساندة نشيطة من جانب هذه الجماهير . فبقدر ما يشتد تنازع الطبقات يتوجب على البروليتاريا ان تقف اشد المواقف حزما ومثابرة ، بالاستناد الى الجماهير الشعبية الواسعة ، وان ترفع مستوى النشاط الثوري لدى هذه الجماهير بغية التغلب على قوى الثورة المعاكسة ، ان خبرة النضال العظيم الذي خاضته الجماهير في ثورة اكتوبر وفي مرحلة الحرب الاهلية التي تلت الثورة – قد اثبتت هذه الحقيقة كل الاثبات و ((نهج الجماهير)) الذي لا يفتأ حزبنا يتكلم عنه انما هو بالضبط حاصل من دراسة خبرة الاتحاد السوفياتي اثناء هذه المرحلة فالنضال العنيد الذي خاضه الاتحاد السوفياتي في ذاك العهد كان يجري في الاساس بوسائل العمل المباشر من قبل الجماهير الشعبية وما كان يمكنه ، طبعا ، ان يتجلى تماما بشكل ديمقراطي ، رغم ان دكتاتورية البروليتاريا ضرورية ايضا لمكافحة بقايا الثورة المعاكسة داخل البلاد حتى بعد القضاء على الطبقات المستثمرة وتصفية القوى المعادية للثورة في الاساس (ولا يمكن القضاء بشكل تام على هذه البقايا ما دام الاستعمار موجودا) ، فانه ينبغي لها ان تكون موجهة بصورة رئيسية ضد القوى العدوانية الاستعمارية الخارجية لدفع خطرها . ومن المهم في هذه الاحوال طبعا ان يجري في حياة البلاد السياسية تطوير تدريجي تنقيح لمختلف المؤسسات الديمقراطية ، وتنقيح الشرائع الاشتراكية ، وتقوية رقابة الشعب على هيئات الدولة ، وتنمية الاساليب الديمقراطية في ادارة شؤون الدولة والمؤسسات من جهة والجماهير الكبيرة من جهة اخرى ، وازالة الحواجز التي تضر بهذه الروابط والوصول الى استئصال الميول البيرقراطية ، لا التشبث كما في الماضي بزيادة حدة النزاع الطبقي وقد اضمحلت الطبقات ، ولا ما يترتب على ذلك من عرقلة لتطور الديمقراطية الاشتراكية تطورا سلميا كما فعل ستالين . ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي قد اصلح اخطاء ستالين في هذه المسألة اصلاحا حازما ، وهذا شيء صحيح كل الصحة .

مفهوم الديمقراطية الاشتراكية

ولا يجوز مطلقا القبول بان تكون الديمقراطية الاشتراكية متعارضة مع دكتاتورية البروليتاريا ولا ان تلتبس مع الديمقراطية البرجوازية . فهدف دكتاتورية البروليتاريا الوحيد ، في الميدان السياسي والاقتصادي والثقافي على السواء ، انما هو تعزيز قضية اشتراكية البروليتاريا وجميع الشغيلة وتقوية نشاطهم في بناء الأشتراكية وتنمية نشاطهم في النضال ضد جميع القوى المعادية للاشتراكية ولذلك فانه اذا كان يمكن لديمقراطية ما، مهما تكن ، ان تخدم نشاطا معاديا للاشتراكية ، ان تضعف قضية الاشتراكية ، فلا يكون لهذه ((الديمقراطية)) المزعومة اية صلة على الاطلاق مع الديمقراطية الاشتراكية .

ومع ذلك ، فان البعض يفهمون هذه المسألة على نحو آخر ، والاصداء الناشئة عن احداث المجر هي اسطع مظهر لهذا المفهوم . ففي المرحلة الماضية ، في المجر ، كانت الحقوق الديمقراطية منتهكة ونشاط الشغيلة الثوري مقوضا ، فيما ان اعداء الثورة كانوا لم يدحروا بعد ، بحيث ان هؤلاء قد تمكنوا بسهولة في تشرين الاول ١٩٥٦ من استغلال استياء الجماهير وتدبير عصيان مسلح . وهذا يدل على ان دكتاتورية حقيقية للبروليتاريا كانت لم تقم بعد في المجر في تلك المرحلة . وفي هذه الاحوال ، كيف واجه المثقفون الشيوعيون في بعض البلدان هذه المسألة في تلك الفترة الدقيقة حين كانت المجر على مفترق الطرق بين الثورة والثورة المعاكسة ، بين الاشتراكية والفاشستية ، بين السلام والحرب ؟ انهم لم يواجهوها من حيث وجوه تطبيق دكتاتورية البروليتاريا ، بل انهم قاموا فوق ذلك ، بمعارضة العمل الصائب الذي قام به الاتحاد السوفياتي والذي كان يرمي الى مؤازرة القوى الاشتراكية في المجر ، ووصفوا الثورة المعاكسة في المجر بأنها ((ثورة)) وطالبوا حكومة العمال والفلاحين الثورية باعطاء ((الديمقراطية)) لاعداء الثورة . وما تزال بعض الصحف حتى الآن ، في بعض البلدان الاشتراكية ،

توجه الافتراءات العنيفة الى التدابير الثورية المتخذة من قبل الشيوعيين المجريين الذين يخوضون نضالا بطوليا في ظروف عسيرة ، فيما انها لا تقل شيئا تقريبا عن الموجة المعادية للشيوعية ، المعادية للشعب ، ولا عن اعمال الرجعية العالمية الموجهة ضد السلام . فما هو معنى هذه الوقائع المدهشة ؟

ان معنى هذه الوقائع هو ان ((الاشتراكيين)) الذين ينشدون بالديمقراطية المنفصلة عن دكتاتورية البروليتاريا انما هم في الواقع يقفون بجانب البرجوازية ضد البروليتاريا، وهم في الواقع يناصرون الرأسمالية ويتنكرون للاشتراكية ، مع انه قد يكون بينهم كثيرون مما لا يدركون ماذا يعملون . لقد اشار لينين مرارا كثيرة الى ان نظرية دكتاتورية البروليتاريا هي الشيء الاساسي في الماركسية ، ((ان اعمق فرق بين الماركسي ، والبرجوازي الصغير العادي (والكبير ايضا) هو الاقرار بدكتاتورية البروليتاريا)) (مؤلفات لينين ، المجلد ٢٥ الصفحة ٣٨٤) . لقد دعا لينين السلطة البروليتارية في المجر عام ١٩١٩ الى ((تطبيق العنف الشديد ، السريع ، والذي لا يعرف في صرامته رحمة)) وذلك من اجل سحق اعداء الثورة ، وقال ايضا ان ((من لم يدرك ذلك ليس بثوري وتجب ازاحته من مركز قائد البروليتاريا او مرشدها)) مؤلفات لينين ، المجلد ٢٩ الصفحة ٣٥٨) . فعلى ضوء ذلك نرى ان من يلاحظ الاخطاء التي اقترفها ستالين في المرحلة الاخيرة من حياته وأخطاء قادة المجر في المرحلة السابقة ، ثم ينكر الافكار الاساسية في الماركسية اللينينية عن دكتاتورية البروليتاريا ويفتري على هذه الافكار اذ ينعتها بـ ((الستالينية)) ونزعة الجمود العقائدي، انما ينطلق في طريق خيانة الماركسية اللينينية ويبتعد عن قضية الثورة البروليتارية .

ان الذين ينكرون دكتاتورية البروليتارية ينكرون ايضا ضرورة المركزة في سبيل الديمقراطية الاشتراكية ، ينكرون الدور القيادي العائد الى حزب البروليتاريا السياسي في الدولة الاشتراكية . من الاكيد ان هذه الاقوال ليست جديدة في الماركسية اللينينية .

فلقد سبق لانغلس ان اشار يوم كان يناضل ضد الفوضويين الى ان من الضروري ان يكون في كل هيئة اجتماعية ، مهما كانت سلطة وطاعة محددتان ، بشرط ان يكون هناك عمل مشترك . ثم ان للعلاقات بين السلطة والعمل الذاتي طابعا نسبيا ، ويختلف مدى تطبيقهما باختلاف مراحل التطور الاجتماعي . وقد قال انغلس : ((من غير المنطقي ... ان يتصور المرء ان مبدأ السلطة سيء على الاطلاق وان مبدأ العمل الذاتي صالح على الاطلاق)) (مؤلفات ماركس وانغلس المختارة ، المجلد ١ الصفحة ٥٠٩) . وقال انغلس ايضا ان من يتشبث بالدفاع عن مثل هذا المفهوم غير منطقي ((لا يخدم في الواقع سوى الرجعية)) (مؤلفات ماركس وانغلس المختارة ، المجلد ١ الصفحة ٥٩١) . وقد اعطى لينين ، في نضاله ضد المنشفيك ، تعليمات كاملة بشأن الاهمية الاساسية التي لقيادة الحزب المنظمة بالنسبة الى قضية البروليتاريا . فانه حين انتقد الشيوعية ((اليسارية)) في المانيا عام ١٩٢٠ ، نوه بان انكار دور الحزب القيادي ، دور القادة ، والانضباط ، ((انما يعني تجريد البروليتاريا من سلاحها تماما لصالح البرجوازية ، ويعني بالضبط التشتت البرجوازي الصغير ، وعدم الاستقرار ، والعجز عن رباطة الجأش ، وعن الاتحاد ، وعن العمل بشكل متفق عليه ، وهي امور تؤدي حتما ، اذا ما تركت تفعل فعلها ، الى تلاشي كل حركة ثورية بروليتارية)) . (مؤلفات لينين ، المجلد ٣١ ، الصفحة ٢٦) . فهل بطلت قيمة هذه الافكار ؟ وهل باتت غير قابلة للتطبيق في الاوضاع النوعية لبعض البلدان ؟ وهل ان تطبيق هذه الافكار يؤدي الى اخطاء ستالين ؟ بديهي تماما ان الوقائع تبين غير ذلك . فلقد امتحنت افكار الماركسية اللينينية هذه في تاريخ الحركة الشيوعية الاممية وفي تطور البلدان الاشتراكية ، ولم تصادف حتى الآن اوضاع يمكن اعتبارها حالات شاذة .

ان مرد اخطاء ستالين ليس الى المركزية الديمقراطية في حياة الدولة ولا الى قيادة الحزب ، بل الى ان ستالين قد انتهك ، الى حد ما وبقدر ما ، المركزية الديمقراطية وقيادة الحزب . وان تطبيق المركزية الديمقراطية في حياة الدولة تطبيقا صحيحا ،

وتنشيط قيادة الحزب في بناء الاشتراكية تنشيطا صحيحا ، تلك هي الضمانة الاساسية لتطور بلدان المعسكر الاشتراكي تطورا شديدا قائما على تكاتف الشعوب ، على دحر الاعداء وازالة العقبات . ولهذا بالضبط ، ومن اجل توجيه ضربة الى قضيتنا ، لا يفتأ الاستعماريون وجميع العناصر المعادية للثورة يطالبوننا بقبول ((الليبيرالية)) ولا ينفكون يجمعون القوى من اجل تقويض الجهاز القائد في عملنا ، من اجل تدمير نواة البروليتاريا، أي نواة الحزب الشيوعي .

وقد اعرب هؤلاء عن عميق ارتياحهم ازاء ((الوضع غير المستقر)) الذي نشأ الان في بعض البلدان الاشتراكية نتيجة لمخالفة الانضباط في هيئات الحزب والدولة ، واستغلوا هذه الفرصة لتقوية دسائسهم الهدامة . وان هذا ليدل على ان صيانة سلطة المركزية الديمقراطية ، صيانة دور الحزب القيادي ، هي ذات اهمية اولية بالنسبة الى المصالح الاساسية التي للجماهير الشعبية . ومما لا ريب فيه ان التركيز في المركزية الديمقراطية يجب ان يقوم على مبادىء ديمقراطية واسعة ، وان قيادة الحزب يجب ان تكون مرتبطة بالجماهير الشعبية وثيق الارتباط . ويجب ان تشجب وان تنبذ النواقص في هذا الحقل بشكل حازم . وفي الوقت ذاته ، ينبغي ان لا يهدف أي شجب لهذه النواقص الا الى تقوية المركزية الديمقراطية ، وتقوية قيادة الحزب ، وينبغي له ان لا يبعث أي ارتباك او تشويش في صفوف البروليتاريا ، الامر الذي يسعى العدو اليه .

ثم ان بعضنا من القائلين باعادة النظر في الماركسية اللينينية بحجة محاربة نزعة الجمود العقائدي ينكرون الحد الفاصل بين دكتاتورية البروليتاريا ودكتاتورية البرجوازية ، بين النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي ، بين معسكر الاشتراكية ومعسكر الاستعمار . وفي رأيهم انه يمكن بناء الاشتراكية في بعض البلدان البرجوازية دونما ثورة بروليتارية يقودها حزب البروليتاريا السياسي . وفي رأيهم ان رأسمالية الدولة في هذه البلدان البرجوازية قد وصلت للاشتراكية ، حتى ان المجتمع البشري بأسره ((يندمج)) في الاشتراكية . والحال انه فيما يقوم هؤلاء بالضبط بنشر دعايتهم

هذه ، يستعد الاستعمار استعدادا نشيطا لكي ((يقوض)) و ((يسحق)) البلدان الاشتراكية القائمة منذ زمان طويل ، حاشدا في سبيل هذه الغاية جميع قواه العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية و ((المعنوية)) وقوى عملائه التي يمكن حشدها . هذا وان اعداء الثورة من البرجوازيين الذين يلجأون الى هذه البلدان بعد فرارهم الى الخارج يسعون بجميع الوسائل الى اعادة حكمهم . وبالرغم من ان النزعات التعديلية تناسب اغراض الاستعمار ، فان عمل الاستعماريين ليس في صالح دعاة التعديل بل انه يثبت افلاس النزعة التعديلية .

توطيد التضامن الاممي البروليتاري

ان توطيد التضامن الاممي البروليتاري هو مهمة من اشد المهمات الحاحا ملقاة على عاتق البروليتاريين في جميع البلدان لكي يتمكنوا من رد هجوم الاستعمار . فانه ، سعيا الى القضاء على الشيوعية ، والى تقويض التضامن البروليتاري الاممي بجميع الوسائل، يعمد الاستعماريون والرجعيون في جميع البلدان الى استغلال المشاعر القومية الضيقة واستغلال ما يلاحظ بين مختلف الشعوب من تباعد ما ناشىء عن اسباب قومية . ان البروليتاريين الثوريين الراسخين يذودون بحزم عن هذا التضامن الذي يرون فيه المصالح المشتركة بين البروليتاريا جميع البلدان . اما العناصر غير الثابتة فهي تتأرجح ولا تتخذ موقفا معينا في هذه المسألة .

ان الحركة الشيوعية حركة اممية منذ نشوءها ومن حيث طبيعتها . ذلك انه بالجهود المتضافرة فقط تستطيع بروليتاريا جميع البلدان ان تخلع النير الذي يستمد بقاءه من الجهود المتظافرة بين برجوازية جميع البلدان ، وان تحقق المصالح المشتركة بين

بروليتاريي جميع البلدان . ولقد اسهم تضامن الحركة الشيوعية بقسط مرموق في تقدم قضية الثورة البروليتارية في بلدان مختلفة .

ان انتصار ثورة اكتوبر في روسيا قد بعث في الحركة الثورية للبروليتاريا الاممية عوما شديدا وقيض لها انطلاقا جديدا . وفي غضون السنين التسع والثلاثين التي انقضت على ثورة اكتوبر ، احرزت الحركة الشيوعية الأممية نجاحات عظيمة جدا وباتت قوة سياسية عظيمة على الصعيد الدولي . وان البروليتاريين في العالم كله ، وكذلك جميع من يريدون التحرر ، يربطون بانتصار هذه الحركة جميع امالهم في مستقبل للانسانية وضاء .

ان الاتحاد السوفياتي قد ضل طوال ٢٩ سنة مركز الحركة الشيوعية الاممية ، وذلك لكونه اول بلد انتصرت فيه الاشتراكية ، ولكونه ، بعد قيام المعسكر الاشتراكي ، اقوى بلدان هذا المعسكر ، ولكونه اغنى بلد بالخبرة التي اكتسبها ، البلد القادر على اسداء اكبر مساعدة لشعوب البلدان الاشتراكية ولشعوب العالم الرأسمالي . ومن الطبيعي تماما ان يكون الامر هكذا نظرا الى احوال تاريخية معينة، وهو امر لم يصطنعه احد .

ففي سبيل مصالح القضية المشتركة بين بروليتاريي جميع البلدان ، من اجل القيام معا بصد الهجوم الذي يشنه المعسكر الاستعماري بقيادة الولايات المتحدة على قضية الاشتراكية ، في سبيل الانطلاق العام للاقتصاد والثقافة في جميع البلدان الاشتراكية ، يجب علينا ان نواصل توطيد التضامن البروليتاري الاممي .. الذي مركز دائرته الاتحاد السوفياتي .

ان علاقات التضامن الاممي بين الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان هي علاقات من نوع جديد كل الجدة في تاريخ الانسانية . اكيد ان سير تطور هذه العلاقات لا يمكنه ان يجري دون صعوبة . فمن واجب الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان ان تتحد ، وفي الوقت ذاته ، ان يحافظ كل منها على استقلاله . فان الخبرة التاريخية تبين انه اذا اختلت النسبة بين هذين الحدين او اذا اهمل احدهما فلا بد من الوقوع في الضلال . وحين تقيم

الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان علاقات بينها مبنية على المساواة في الحقوق ، وتتوصل الى وحدة الرأي عن طريق تشاورات حقيقية لا شكلية ، فان هذا يقوي التضامن بينها . وبالعكس ، فان هذا التضامن يصبح في خطر اذا قام البعض ، في نطاق العلاقات ، بفرض ارائهم على البعض الآخر ، او اذا حلت طريقة التدخل في شؤون الاخرين الداخلية محل الاقتراحات الودية والانتقاد . وبالنظر الى ان الاحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية تضطلع بمسؤولية قيادة حياة الدولة ، والى ان العلاقات بين الاحزاب الشيوعية تتناول في الغالب العلاقات بين الاحزاب الشيوعية تتناول في الغالب العلاقات بين البلدان وبين الشعوب . فقد غدت تسوية العلاقات بشكل صحيح مسألة تجب مواجهتها بمزيد من الجد والاهتمام .

كان الشيوعيون وما يزالون وطنيين حقيقيين

لقد كانت الماركسية اللينينية وما تزال تقول بمبدأ راسخ جدا هو مبدأ الجمع بين الاممية البروليتارية والروح الوطنية لدى كل شعب . فيجب على الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان ان تربي اعضاءها على روح الاممية ، نظرا الى ان المصالح القومية الحقة لشعوب جميع البلدان تتطلب تعاونا وديا بين الامم . وعلى الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان ، في الوقت ذاته ، ان تغدو الناطقة الوطنية الحقيقية بلسان مشاعر شعبها القومية . وهم يدركون انهم لا يستطيعون اكتساب ثقة حقيقية . وعطف اكيد من جانب جماهير شعبهم ، ولا يستطيعون القيام بعمل فعال بين الجماهير الشعبية بغية تثقيفها بروح الاممية ، ولا يستطيعون توحيد المشاعر والمصالح القومية لهذه البلدان باكثر يملكون من الفائدة ، الا اذا عبروا بشكل صحيح عن المصالح والمشاعر القومية .

وفي سبيل تعزيز التضامن الاممي بين البلدان الاشتراكية ، ينبغي للاحزاب الشيوعية لهذه البلدان ان تتبادل احترام المصالح والمشاعر القومية . ولهذا الامر اهمية كبيرة بنوع خاص في العلاقات بين حزب بلاد كبيرة وحزب بلاد صغيرة .

وانه توخيا لعدم اثارة العداء من جانب بلد صغير ، ينبغي ان يحرص البلد الكبير دائما على اقامة علاقات مبنية على التساوي . وقد كان لينين على حق حين نوه بقوله ((أن البروليتاريا الشيوعية الواعية في جميع البلدان ملزمة بان تحترص اشد الاحتراص وان تبدي انتباها كبيرا حيال بقايا المشاعر القومية في البلدان ولدى الشعوب التي عانت الجور زمنا طويلا ..)) (مؤلفات لينين ، المجلد ٣١ ، ٣٤٢ من الطبعة الروسية) .

شوفينية الدولة الكبرى

وكما قيل اعلاه ، ان ستالين كان يبدي في علاقاته مع الاحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة ميلا ما الى شوفينية الدولة الكبيرة . وقوام هذا هو الاستخفاف بالوضع الاستقلالي والمتساوي للاحزاب الشيوعية والبلدان الاشتراكية في الوحدة الاممية . ان هذا الميل مشروط بعوامل تاريخية معينة . فبالطبع ان ثمة أثرا ما للعادات المتأصلة منذ زمان طويل في العلاقات بين البلدان الكبيرة والبلدان الصغيرة ، ثم ان ما يحرزه الحزب او البلد من نجاحات عديدة في الثورة لا بد من ان يبعث في الناس شعورا بالتفوق .

ولهذا السبب بالذات ينبغي بذل الجهود المتواصلة للتغلب على الميول المنبثقة من شوفينية الدولة الكبيرة . وليست شوفينية الدولة الكبيرة ظاهرة خاصة بدولة ما فقط . فاذا كان البلد ((ب)) اصغر واقل تقدما من البلد ((ا)) ، ولكنه اكبر واكثر تقدما من البلد ((ج)) ، فان البلد ((ب)) ، رغم اللوم الذي يوجهه الى البلد ((ا)) بسبب ظهور شوفينية الدولة الكبيرة لديه ، انما يتصرف غالبا حيال البلد ((ج)) تصرف الدولة

الكبيرة . وعلينا نحن الصينيين بنوع خاص ان لا ننسى ان بلادنا ايضا كانت امبراطورية عظيمة في ايام سلالات ملوك هان وتانغ ومينغ وتسينغ ، وانه رغم العدوان الذي حل بها منذ اول منتصف القرن التاسع عشر فظلت طوال نحو مئة سنة بلاد شبه مستعمرة ، متأخرة في الحقل الاقتصادي والثقافي ، فان الميل الى شوفينية الدولة الكبيرة، بعد ان تكون قد تغيرت الاوضاع ، سيصبح خطرا كبيرا ان لم يحارب بجميع الوسائل . وتنبغي الاشارة الى ان هذا الخطر بدأ يظهر في هذا الوقت الحاضر بين بعض شغيلتنا القادة . وذلك فان القرار الصادر عن المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني والبيان الصادر عن حكومة الجمهورية الشعبية الصينية في اول تشرين الاول عام ١٩٥٦ قد وضعا امام شغيلتنا مهمة محاربة الميل الى شوفينية الدولة الكبيرة .

غير ان شوفينية الدولة الكبيرة ليست الميل الوحيد الذي يعيق التضامن البروليتاري الاممي . ففي الماضي لم تكن البلدان الكبيرة لتحترم البلدان الصغيرة ، بل وكانت تجور عليها ، فيما ان البلدان الصغيرة كانت بدورها تبدي ريبة وحتى عداء حيال البلدان الكبيرة . وهاتان النزعتان ما تزالان موجودتين بقدر كبير او قليل بين الشعوب وحتى في صفوف بروليتاريا مختلف البلدان . ولذلك فان من الواجب ، بغية تعزيز التضامن البروليتاري الاممي ، ومع مكافحة شوفينية الدولة الكبيرة في البلدان الكبيرة بالدرجة الاولى ، ان يتم التغلب ايضا على النزعة القومية الضيقة في البلدان الصغيرة. وسواء في البلدان الكبيرة والصغيرة ، اذا وضع الشيوعيون مصالح بلادهم وامتهم موضع التعارض مع المصالح العامة التي للحركة البروليتارية الاممية وناهضوا هذه الاخيرة بحجة الدفاع عن الاولى، واذا كانوا لا يذودون بالاعمال ذودا حقيقيا عن التضامن الاممي بل يلحقون به الاذى ، فان ذلك يكون ضلالا فاحشا مناقضا للاممية وللماركسية اللينينية .

لقد اثارت اخطاء ستالين في حينه استياء كبيرا لدى شعوب بعض بلدان اوربا الشرقية. كما ان موقف بعض الناس في هذه البلدان حيال الاتحاد السوفياتي ليس صحيحا هو

ايضا . فالقوميون البرجوازيون يريدون ان ينجحوا مهما كلف الامر في حمل الناس على استعضام العيوب في الاتحاد السوفياتي واستصغار القسط المفيد الذي اداه . انهم يبغون النجاح في حمل الناس على عدم التفكير بكيفية تصرف الاستعمار حيال هذه البلدان والشعوب في حال عدم وجود الاتحاد السوفياتي . واننا ، نحن الشيوعيين الصينيين ، لنسجل بارتياح كبير كون الحزبين الشيوعيين البولوني والمجري يناهضان بقوة الان نشاط العناصر المخربة التي تبث عمدا شائعات معادية للاتحاد السوفياتي وتثير خلافا قوميا بين البلدان الشقيقة ، وانهما قد شرعا النضال للتغلب على الظنون القومية الموجودة لدى قسم من الجماهير الشعبية وحتى بين قسم من اعضاء الحزب . ومن البديهي تماما ان هذا التدبير ضروري كل الضرورة من اجل توطيد العلاقات الودية بين البلدان الاشتراكية .

وكما قلنا فيما تقدم ، فان سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية في المرحلة المنصرمة كانت متفقة في الاساس مع مصالح البروليتاريا الاممية ، ومع مصالح الامم المغلوبة على امرها ، ومصالح جميع شعوب العالم . وقد بذل الشعب السوفياتي جهودا عظيمة في السنين التسع والثلاثين المنقضية كما بذل تضحيات بطولية بمساندته عمل شعوب جميع البلدان . وليست بعض الاخطاء التي ارتكبها ستالين لتقلل بتاتا من شأن المآثر التاريخية التي حققها الشعب السوفياتي العظيم .

ان جهود الحكومة السوفياتية في سبيل تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا ، وبيان الحكومة السوفياتية بتاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٩٥٦ والمحادثات التي جرت بين الاتحاد السوفياتي وبولونيا في شهر تشرين الثاني ١٩٥٦ ، لتؤكد عزم الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي والحكومة السوفياتية على محو اخطاء الماضي في العلاقات الخارجية محوا نهائيا . وكل هذه التدابير من جانب الاتحاد السوفياتي هي قسط هام يؤدي في قضية توطيد التضامن الاممي البروليتاري .

ومن البديهي تماما انه ، اليوم ، اذ يشن الاستعماريون هجوما عنيفا على صفوف الشيوعيين في جميع البلدان ، فان من واجب البروليتاريا في جميع البلدان ان تعمل بعناد لتوطيد التضامن بينها . ومن بعيد الاحتمال ، في حال وجود عدو قوي ، ان يؤيد شيوعيو وشغيلة جميع البلدان كل الآراء والاعمال التي تحول دون توحيد صفوف الشيوعيين الامميين مهما تكن الصبغة التي تصبغ بها هذه الآراء والاعمال .

آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تدرك من هم اصدقائها ومن هم اعداؤها

ان تعزيز التضامن الاممي البروليتاري باعتبار الاتحاد السوفياتي محوره ، لا يستجيب فقط لمصالح جميع البلدان ، بل ولمصالح الحركة العاملة في سبيل استقلال الامم المغلوبة على امرها في العالم كله ، ولقضية السلام في العالم باسره . وان الجماهير الشعبية الكبيرة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ستدرك بتجربتها الخاصة وبسهولة من هم اعداؤها ومن هم اصدقاؤها . ولذلك فان الحملة المعادية للشيوعية ، المعادية للشعب ، هذه الحملة التي يشنها الاستعمار ، والموجهة ضد السلام ، لا يمكن ان تلاقي سوى صدى ضعيف ، وذلك ، على كل حال ، لدى قبضة بين سكان بلدان العالم هذه البالغ عدد قاطنيها اكثر من مليار نسمة . وتدل الوقائع على ان الاتحاد السوفياتي ، والصين ، وسائر البلدان الاشتراكية ، والبروليتارية الثورية في البلدان الاستعمارية ، هم انصار مصر الامناء في كفاحها ضد العدوان ، وهم انصار امناء لقضية استقلال بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ان البلدان الاشتراكية ، وبروليتاريا البلدان الاستعمارية، والبلدان المناضلة في سبيل الاستقلال الوطني ، ان هذه الفئات الثلاث من القوى ، لها مصالح مشتركة في النضال ضد الاستعمار ، وان لتعاضدها اعظم الاثر في مصائر الانسانية والسلام في العالم اجمع .

– قوى السلام ستنتصر على قوى الحرب –

لقد خلقت القوى الاستعمارية العدوانية في الآونة الاخيرة من جديد بعض التوتر في العلاقات الدولية . بيد انه ، بالاعتماد على النضال المشترك من قبل فئآت القوى الثلاث الآنفة الذكر وعلى الجهود المشتركة من قبل سائر القوى السلمية في العالم كله ، يمكن الحصول من جديد على انفراج في هذا الوضع البالغ التوتر . ان القوى العدوانية الاستعمارية لم تكسب شيئا من اعتدائها على مصر، بل انها بعكس ذلك تلقت ضربة شديدة . وبفضل معونة القوات السوفياتية للشعب المجري ، باءت كذلك بالفشل خطط الاستعمار الرامية الى خلق محتشد جديد للسلاح في اوروبا الشرقية والى نسف تكاتف المعسكر الاشتراكي . ان جميع البلدان الاشتراكية تعمل بحزم من اجل التعايش السلمي مع البلدان الرأسمالية ، في سبيل انماء العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والمبادلات الثقافية ، في سبيل ايجاد حلول عن طريق المفاوضات للمسائل الدولية المتنازع عليها ، ضد تهيئة حرب عالمية جديدة ، في سبيل توسيع رقعة السلام في العالم قاطبة ، في سبيل توسيع فلك تحقيق المبادىء الخمسة للتعايش السلمي . وما من شك في ان جميع هذه الجهود ستفوز بعطف متزايد ابدا من جانب الامم المغلوبة على امرها والشعوب السلمية في العالم قاطبة .

ان تعزيز التضامن الاممي بين البروليتاريا سيمنع الاستعماريين العاملين من ان يندفعوا في مغامرة ما عن غير روية . وبالرغم من ان الاستعمار ما يزال يقاوم هذه الجهود ، فان قوى السلام ستنتصر في آخر الامر على قوى الحرب .

* * *

ان تاريخ الحركة الشيوعية الاممية ، منذ تأسيس الاممية الاولى عام ١٨٦٤ ، لم يبلغ من العمر بعد سوى ٩٢ سنة. قد تطورت هذه الحركة خلال هذه السنين الاثنين والتسعين

تطورا سريعا جدا في مجموعها ، مع انها سلكت طريقا ملتوية ومتعرجة . وفي مرحلة الحرب العالمية الاولى ظهر الاتحاد السوفياتي الذي يشغل سدس مساحة الكرة الارضية. وفي نهاية الحرب العالمية الثانية قام المعسكر الاشتراكي الذي يضم ثلث مجموع سكان العالم . ان البلدان الاشتراكية قد اقترفت بعض اخطاء سببت للاعداء ابتهاجا ، ولبعض الرفاق والاصدقاء الما مريرا حتى ان بعضا منهم ساوره التردد حيال مستقبل قضية الشيوعية . والحال ان ليس هناك ما يكفي لتبرير ابتهاج الاعداء ولا لتبرير حزن او تردد الرفاق والاصدقاء . ففي الدول التي نشأت مؤخرا تسلمت البروليتاريا زمام الحكم لاول مرة منذ بضع سنوات فقط ، وفي الدول التي نشأت قبل ذلك لم تمضي سوى بضع عشرات من السنين على تسلم البروليتاريا زمام الحكم . ولذلك لا يجوز ان نطالب البروليتاريا بعدم الوقوع في اي فشل . فالاخفاقات الجزئية والقصيرة المدى كانت موجودة في الماضي وهي فوق ذلك موجودة في الحاضر وستضل موجودة في المستقبل ايضا ، على ان هذا لا يمكن ان يحمل اي شخص بصير على الشعور بخيبة ما او على الوقوع في التشاؤم . ان الفشل هو ام النجاح . وان الاخفاقات الجزئية والقصيرة المدى الموجودة الان لتزيد من الخبرة السياسية لدى البروليتاريا الاممية وتهيء اسباب نجاحات عظيمة في مستقبل لا حدود له . واذا اجرينا مقارنة مع تاريخ الثورات البرجوازية في انكلترا وفرنسا، لوجدنا ان هذه الاخفاقات التي تنتاب عملنا هي اخفاقات ضئيلة جدا . لقد نشبت الثورة البرجوازية الانكليزية عام ١٦٤٠ . وبعد النصر الذي تم احرازه على الملك ، قامت دكتاتورية كرومويل ، ثم عادت السلالة الملكية السابقة الى الحكم في عام ١٦٦٠ . وفي عام ١٦٨٨ ، قامت الاحزاب البرجوازية بانقلاب ، ودعت ملك هولندا ، فدخل هذا اراضي انكلترا على رأس قواته البحرية والبرية ، وحينذاك فقط استقرت دكتاتورية البرجوازية الانكليزية . وقد دامت الثورة البرجوازية الفرنسية ٨٦ سنة ، منذ نشأتها عام ١٧٨٩ حتى عام ١٨٧٥ وهو عام تأسيس الجمهورية الثالثة . وقد كانت هذه الثورة في غاية التقلب ، يتناوب فيها التقدم والرجعية ، والجمهورية والملكية ،

والارهاب الثوري والارهاب المعادي للثورة ، والحرب الاهلية والحرب على البلدان الآخرى ، والسيطرة على دول اجنبية والتسليم امام دول اخرى ، وبالرغم من ان الثورة الاشتراكية قد ذاقت ضغط قوى الرجعية العالمية مجتمعة ، فانها لاقت في طريق تطورها ، بوجه عام ، نجاحات اكثر واستقرار اكبر . وهذا يدل على القوة الحيوية العظيمة التي يحوزها النظام الاشتراكي . وبالرغم من ان الحركة الشيوعية الاممية قد عانت في الآونة الاخيرة بعض الاخفاقات ، فاننا قد استخلصنا من هذه الاخفاقات كثيرا من العبر المفيدة . لقد اصلحنا وسنصلح بعض اخطاء ارتكبت في صفوفنا ، وهي اخطاء ينبغي اصلاحها . وبالرغم من آمال الاعداء ، ستضل قضية البروليتاريا تسير الىامام محرزة المزيد من النجاحات ، وهي لن ترجع ابدا الى الوراء .

اما فيما يتعلق بمصائرالاستعمار ، فالامور تختلف عن ذلك كثيرا . فهنا تتصادم غالبا مصالح الاستعمار الحيوية والمصالح الحيوية التي للامم المغلوبة على امرها ، المصالح الحيوية التي للبلدان الاستعمارية ، وللحكومات الاستعمارية ، وللشعوب . وتزداد هذه الصدامات تفاقما على الدوام ، وليس يوجد طبيب يصف العلاج الشافي من هذا المرض.

من الطبيعي ان يكون النظام الناشىء الجديد ، نظام دكتاتورية البروليتاريا ، يصطدم في الوقت الحاضر ، من عدة وجوه ، بكثير من الصعوبات ، وان يكون ما يزال فيه بعض نواح ضعيفة . ومع ذلك فان موقفنا هو الآن احسن بكثير مما كان يوم كان الاتحاد السوفياتي يناضل وحيدا . وعلى كل حال ، ما هي الظاهرات الجديدة التي لا تلاقي صعوبات والتي لا تخلوا من النواحي الضعيفة ؟ ان المسألة تعود الى المستقبل . فمهما تعرجت الطريق الممتدة امامنا ، فان الانسانية ستصل في آخر الامر الى غايتها المشرفة – الشيوعية – وليس هناك من قوة تستطيع ان تمنعها من ذلك .

---

(١) dogmatisne

(٢) revisionnisme